

نفحات القرآن

[228] أي أنّ تقليدهم لو كان كتقليد الجاهل للعالم لكان مقبولاً ، ولكنّه ليس كذلك بل هو تقليد جاهل لجاهل آخر ، واتّباع ضال لضال آخر ، فمثلهم كالأعمى الذي يقوده أعمى آخر . إنّ هذه الآية وما سبقها من آيات تتحدّث - كما يفهم من سياقها - عن مشركي العرب ، وما احتمله بعض المفسّرين من أنّها تقصد اليهود ولذلك كان سبب نزولها كما هو الوارد عن ابن عبّاس بعيد (فتأمّل) . * * * تحدّثت الآية الخامسة والأخيرة عن مشركي العرب أيضاً حيث كانوا (وإذا تتلى عليهم آياتنا بيّنات قالوا ما هذا إلاّ رجل يريد أن يصدّكم عمّا كان يعبد آباؤكم) . والملفت للنظر أنّ القرآن الكريم يقول : إنّهم كانوا يواجهون (الآيات البيّنات) بمنطق (التقليد) ويستحقرون النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) (ويعبّرون عنه بـ (رجل) ، ولكي يستميلوا عامّة الناس إليهم يخاطبونهم بـ (أسلافكم) بدلا عن (أسلافنا) ليثيروا عصبيتهم أمام النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) . * * * من مجموع هذه الآيات نستنتج أنّ قضية التقليد الأعمى تعدّ من العوامل المؤثّرة في تناقل الإعتقاد بالصنم في العصور والقرون السالفة ، ولم يكن النبي الكريم (صلى الله عليه وآله وسلم) لوحده عندما نهض لمقارعة الشرك كما تحدّثت الآية 43 من سورة سبأ والآية 22 من سورة لآخر في حيث تمسّكوا في ردّه بتقليد الأسلاف ،